ملامح مرحلة التجميع

نحن نستطيع القول الآن بأن المـرحلة الأولى فى الرواية العربية والتى أسميناها بعصر التجميع تنقسم الى أقسام ثلاثة:

١ ــ الأساطير والروايات ذات المضامين الدرامية والتى عرفها العرب عن أبطالهم القدامى منذ خلق الله آدم الى عام الفيل واحداثه .. ويقف على قمة هذا القسم كتاب التيجان لوهب بن منبه .. وهدف أصحابه يتجه الى الامتاع من ناحية واشباع حاجة العرب الى أبطال يحوون جماع فضائلهم الحربية والنفسية .. كما هدف أصحابه أيضا الى ابراز المضامين الدرامية التى حوتها حياة العرب وعاشوا فى اسارها .. وهى بهذا كله قد جمعت تراثا فنيا عربيا زاخرا استمد منه العرب فى مختلف أطوار حياتهم الروائية، ويستمدون منه بعد ذلك فى كل أعمالهم ، فأثاره تظهر فى الأعمال الروائية المتأخرة مما يدل على اطلاع أصحاب الروايات المتأخرة التاليف على أعمالهم وتقديرهم لها وتأثرهم بها ..

٢ ــ اساطير وروايات موجهـــة ، أى راعى مجموعها أن تساير الروح الاسلامية ، والعقلية الاسلامية ، وأن لا تتعارض مع ما جاء بالقرآن من قصص ان كان الموضوع واحدا ، فان اختلف الموضوع فان المضمون توجيهى اسلامى ، يخـــرج دائمـــا بحكمة

لا تتعارض ومبادىء الدين الجديد .. ويقف على قمة هذا اللون كتاب أخبار ملوك اليمن لعبيد بن شرية الذى يحوى مجالسه مع معاوية .. وهذا اللون لا يتقيد فيما يجمع من حكايات بزمن أو مكان أو أشخاص ، وانما هو حر طليق يختار ما يشاء ويقص ما يريد على أن لا يتعارض ــ كما قلنا ــ مع الدين ؛ فان تعارض فلابد من تفسير هذا التعارض وتبريره ..

٣ ــ حاكيات السيرة ، وهى حكايات تتعلق بحدث واحد هو الاسلام ، وشخص واحد هو محمد (ص) . الا أن هذه الحكايات تبدأ منذ يتخيل جامعوها أن هناك صلة بين ما يروون والرسالة الجديدة .. فهى تأخذ من الكتب الأخرى ما يخدم هذا الحدث ويتركون ما عداه ، ولعلك تلمح فى أكثر من موضع قول ابن هشام فى السيرة النبوية :

« وهو حديث طويل منعنى من استقصائه قطعه حديث سيرة الرسول (ص) » .

فالأحداث عند أصحاب هذا اللون انما تخدم هدفا واضحا. وحرية من يجمع القصص ليست مطلقة وانما هى مقيدة بما يقيد أحداث السيرة نفسها . ويقف على قمة هذا اللون كتاب السيرة النبوية لابن اسحق . الذى يمكننا أن نعده بحق أول عمل قصصى فى الاسلام ..

وسمات هذه المرحلة مرحلة التجميع تكاد تتشابه فى فهم

الأحداث ، وفى موقف أصحابها من الأساطير وشطحات الخيال ، ومن صورة للبطل وصفاته وسماته مما فصلناه فى مكانه ..

ونحب أن نوضح أن هذه المراحل الثلاث بينها من التشابك والاختلاط ما يجعل الفصل القاطع بينها متعذرا ، انما هى حدود نحاول أن نضعها لنسهل البحث ونفتح الطريق ..

* * *

وبعد فلعلنا استطعنا أن نرسم الصورة التى تخيلنا لهذا العصر الذى يعتبر بداية لظهور القصة فى أدبنا العربى .. ولعلنا أيضا نكون قد أجبنا على الكثير من الأسئلة التى أثرناها فى مستهل الكتاب ..

ولسنا فى واقع الأمر نريد من بحثنا هذا الا أن يكون دافعا للأساتذة المتخصصين فى معاودة النظر فيما قرروا من أمر النثر العربى والقصة العربية ، فيقدموا لنا من أبحاثهم ما يرد اعتبار الأدب العربى ويضعه فى مكانه من الآداب العالمية ذات الطابع الانسانى ؟

فاروق خورشيد